٦ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

(تابع الفصل الأول)

يلاحظ أن أهل القاهرة وسكان الأقاليم الشمالية حيث يكثر المهاجرون لاعتدال الجو : هؤلاء لقلة تعرضهم للشمس يمتازون بوجوههم الشديدة الصفرة وبشرتهم الناعمة الملمس ، بينما الآخرون يزداد لونهم ظلمة وبشرتهم غلظة . أما في مصر الوسطى وفي الصعيد الأعلى فيشتد وهج الشمس وتزيد حمرة الوجه كلما صعد الإنسان نحو النوبة حيث يكون الجو أشد حرارة ، وحيث يحل النوبيون محل المصريين تدريجياً . وسحنة المصريين المسلمين بيضية الشكل جميلة الهيئة . فالجبهة معتدلة الحجم نادرة الارتفاع شديدة التقوس ، والعينان بعيدتا الغور ، أو تبدوان كذلك نتيجة لخفض الحاجب من تأثير الشمس ، سوداوان لامعتان ، تشبهان بعض الشبه أعين الأجناس الحبشية ، والأنف مستقيم غليظ بعض الشيء ، والفم جميل التكوين ، والشفتان أقرب إلى الغلظ ، والأسنان جميلة الشكل تشبه إذا نظرنا إلى المومياءات أسنان المصريين القدماء[1] واللحية سوداء خفيفة جعداء . وقلما ترى عيوناً رمادية ، إلا في ذرية الأجانب من أوربيين وغيرهم أو في سلالتهم . وقد اعتاد الفلاحون ، لدوام تعرضهم للشمس كسر جفونهم ؛ وهذه من مميزات البدو . وأكثر المصريين مصابون بالسور أو بالعمى . وهم لا يحلقون اللحية كلها وإنما يحلقون ما فوق العظم الأسفل وما تحته وكذلك ما تحت الشفة السفلى ما عدا المنفقة على مثال الرسول (صلعم) . وقد ينتفون تلك المواضع . والقليل منهم يحلق اللحية كلها[2] ما عدا الشاربين فلا يحلقهما أحد ، وهم يطلقون لحاهم بمقدار قبضة اليد تقريباً

وهذا هو المتبع عادة . وتلك كانت عادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم لمحافظتهم على السُّنة لا يطيلون الشاربين ولا يعدونهما على الأقل فوق الشفة العليا حتى لا يضايقانهم عند الأكل أو الشرب . وعادة الخضاب ليست شائعة في مصر لأنهم يحترمون الشيب . ويحلق المصريون شعر الرأس كله ، أو يتركون خصلة صغيرة فوق الناصية تسمى « شوشة »[3] . ويقال إن هذه العادة الأخيرة — التي تكاد تكون عامة بينهم — منشأها خوف المسلمين عند وقوعهم في أسر الكفار أن يمسد هؤلاء — عند ذبحهم — إلى وضع أيديهم النجسة في الفم ليحملوا الرأس منه إذا لم يجدوا شعراً . وقد تكون اللحية قصيرة أيضاً ، ولكن الراجح أن تلك العادة أخذت عن الأتراك ، لأنها لا تشاهد عامة عند البدو ، ولأن عادة حلق الرأس ظهرت بين العرب منذ عهد قريب ، ثم إنها للنظافة[4] . ويتبع المصريون عادات أخرى لنظافتهم لا محل لذكرها هنا[5] . ويلاحظ أن كثيراً ما يشيم رجال الطبقة السفلى وغيرهم أذرعتهم وأحياناً أيديهم وصدورهم كما يفعل النساء ، (وسنصف هذه العادة عند الكلام عن النساء)

وتتألف ملابس رجال الطبقتين العليا والوسطى من الأجزاء الآتية[6] : أولاً ، سروال[7] قصفاض من الكتان أو القطن

(١) ومع ذلك فآلام الأسنان مرض شائع في مصر كما كان في العصور القديمة على الأرجح ، إذ يشير هيرودوتس في كلامه عن طبقات الأطباء المصريين إلى أطباء الأسنان

(١) وقلما يحلق الخدم لحاهم ، وما من أحد منهم يحلق شاربيه . ومن المشاهد كثيراً احترام الشرقيين للحية . فهي محل تسمهم ، وهم يقولون لمن يرتكب قبيحاً إنه أسقط حرمتها . وكثيراً ما طبقت في العصور الحديثة العقوبة المنصوص عنها في سفر صموئيل الثاني ، الاصحاح العاشر الآية الرابعة ، ونصها . فأخذ حانون عبيد داود وحلق أنصاف لحاهم ثم أطلقهم . ولكنها لم تتواتر بقدر عقوبة حلق اللحية كلها

(٢) يعد المسلمون ترك قصاصة الشعر أو قلامة الأظافر الخ على الأرض مخالفاً للاحترام الواجب لكل ما يخص الجسد ، وهم لذلك يدفنون هذه الأشياء في التراب ؛ بينما النساء يحشين بها شقوق الجدران

(٣) ويستقبح رجال العلم والدين هذه الشوشة

(٤) وهي مذكورة في « مشكاة المصابيح » الجزء الثاني ص ٣٥٩ ويراعيها كلا الجنسين

(٥) ولا تزال طريقة لبسهم كما كانت على ممر القرون

(٦) يسمى « لباس »

يشد حول الوسط بشريط[1] طرفاه مطرزان بالحرير اللون وإن كانا تحت الملابس الخارجية . ويصل السروال إلى ما تحت الركبتين بقليل أو ينزل حتى الكعبين . إلا أن الكثير من العرب لا يلبسون السراويل الطوال لأن النبي (ص) حرمها عليهم . بعد ذلك قميص أكمامه واسعة جداً تصل حتى المعصم ، يصنع من نسيج الكتان الأبيض الرخيص أو من نسيج القطن أو الحرير الموصلي أو الحرير المخلوط بالقطن ، وكلها مفوفة بيضاء[2] . ويرتدي أغلب الناس فوق هذا ، عند ما يرد الطقس ، « صدرياً » قصيراً من الجوخ أو من الحرير الملون المفوف أو من القطن ، ولا أكمام له . يضاف إلى هذا رداء طويل من الحرير المفوف أو القطن[3] يسمى « قفطان » أو على حسب التعبير الغالب « قُفطان » ينزل حتى الكعبين وأردانه الطويلة تمتد إلى ما بعد أطراف الأصابع بقليل ، أو من وسط الذراع بحيث تكشف اليد ؛ إلا أنه يمكن سترها بالكم عند الضرورة ، لأن من العادة أن تنطوي اليدان في حضرة شخص عظيم . ثم يلف حول هذا الثوب شال ملون[4] أو قطعة طويلة من الحرير الموصلي الأبيض المنقوش . وأخيراً ، الحلة الخارجية العادية وهي عبارة عن كساء طويل من الجوخ ، من أي لون كان ، يسميه الأتراك « جُبه » ويسميه المصريون « جبه » ولا تتعدى أكمامه المعصم تماماً[1] وبعض الأشخاص يلبسون « البنش » — وهو قباء من الجوخ — أكمامه كأكمام القفطان طولاً ولكنه أوسع منها[2] ويرتدونه — على الأخص — في الحفلات فوق الجبة ، ولكن الكثير منهم يستبدلونه بها ؛

شكل ١٤ — (زي الطبقتين الوسطى والعليا)

شكل ١٥ — (زي الطبقة الدنيا)

وهناك رداء آخر يسمى « فرجية » يشبه البنش تقريباً وأكمامه طويلة غير مشقوقة ، ويلبسها غالباً رجال العلم . ويتوشح شتاء بنوع من المآزر الصوفية السوداء يسمى « عباية » ، وقد تشد فوق الرأس[3] ، وفي الشتاء أيضاً يتدثر كثير من الناس بشال من الحرير الموصلي ، أو غيره (مثل الذي يستعملونه للعمامة) يلف حول الرأس والكتفين .

أما غطاء الرأس ، فيتكون من قلنسوة[4] قطنية صغيرة مطابقة للرأس تماماً وتغير كثيراً . ثم يوضع « الطربوش » — وهو غطاء من الجوخ الأحمر — محكم على الرأس أيضاً ، يتدلى من قمته شرابة من الحرير الأزرق القاتم ، وأخيراً يلف على الطربوش قطعة طويلة من الحرير الموصلي الأبيض المصور ، أو شال

(١) يسمى « دكة » أو « تكة »

(٢) وقد نهى الرسول (صلعم) الرجال دون النساء عن لبس الحرير إلا أن هذا المنع لا يراعيه إلا القليل جداً من المسلمين المحدثين ، ما عدا الوهابيين

(٣) وقلما يكون التفويف واحد الشكل فقد يكون مصوراً أو مزهراً

(٤) حزام

(١) أنظر الصورة الأمامية في الشكل رقم ١٤

(٢) أنظر الصورة اليسرى من نفس الشكل

(٣) أنظر الشكل رقم ١٥ وقوامه عباءة مخططة

(٤) تسمى « طاقية » أو « مرقية »

كشميري وهذه هي العمامة . وقلما يستعمل الشال الكشميري إلا عند ما يبرد الجو . وقد يلبس البعض طربوشين أو ثلاثة ، الواحد فوق الآخر . أما عمامة الشريف وهو الموصول نسبه بنسب الرسول فخضراء ، وله وحده هذا الامتياز ؛ كما أنه ليس من المعتاد أن يلبس أحد غير الأشراف ثياباً خضراء ناضره

أما الجوارب فلا يستعملها إلا بعض الناس شتاء ، ويتخذونها من الصوف أو القطن . وأما الحذاء[1] فهو من الجلد المراكشي Maroguin الأحمر السميك وطرفه الأمامي مدبب معقوف إلى أعلى. وينتعل البعض حذاء داخلياً[2] من الجلد المراكشي الأصفر الناعم ذا نعل من الجلد نفسه ، فيخلع الحذاء الخارجي وحده عند الدوس على البسط . ولهذا السبب يلبس الحذاء الخارجي مكعوباً

ويحمل المصريون في خنصر اليد اليمنى خاتماً[3] من العقيق أو غيره ينقش عليه اسم حامله ويصاغ عادة من الفضة . ويرفق الإسم غالباً بعبارة خادمه (أي خادم الله أو عبده) أو بعبارات أخرى تعبر عن إيمان الشخص بالله الخ . وكان الرسول (ص) يستقبح استعمال الذهب ، ولذلك قلما يلبس المسلمون خواتم من ذهب . ولكن النساء يتحلين بمختلف الحلى (من خواتم وأساور الخ) من هذا المعدن الثمين

ويستعمل الخاتم لختم الرسائل وغيرها من المكاتبات ! ويعتبر الخاتم أصدق من إمضاء اليد[1] ، وطريقة ذلك أن يلطخ الخاتم بقليل من الحبر بإصبع من الأصابع ، ثم يضغط على الورقة بعد أن يأخذ الشخص من ريقه بأصبع آخر ويبلل المكان المراد ختمه . وكل فرد تقريباً يحمل خاتماً متى كان يستطيع ذلك ولو كان خادماً . ويضع محترفو الكتابة والعلماء وغيرهم في منطقتهم دواة «دواية» من الفضة أو النحاس الأصفر أو النحاس الأحمر ، وهي عبارة عن محبرة أو صندوق به أوعية للحبر والأقلام . ويحمل البعض بدلاً منها أو علاوة عليها مطواة أو خنجر ، وتلك عادة قديمة . أنظر حزقيال ، الإصحاح التاسع الآية الثانية[2]

ويحمل المصريون شُبُكهم معهم أينما حلوا (إلا في المساجد) أو يحملها لهم خدمهم ؛ وإن كانت العادة لم تجر بالتدخين في الشوارع . وهم يضعون كيس التبغ في صدر القفطان الذي يتهدل فوق الحزام ، كما يضعون فيه أيضاً مناديلهم المطرزة بالحرير والمرصعة بالذهب ، بعد أن تطوى باعتناء

وقد يرغب الكثير من أفراد الطبقة الوسطى أن يفقوا عنهم فكرة الإثراء فيرتدوا فوق ملابسهم مئزراً قطنياً أسود اللون لا تميزه عن مآزر العامة ميزة

(يتبع)

عدلي طاهر نور

(١) مركوب

(٢) ويسمى (مز) أو أكثر صحة (مزد) من التركية (مست)

(٣) وقد يوضع في أي أصبع من أصابع اليد اليسرى

(١) ولذلك يعتبر إعطاء الخاتم لأي شخص آخر دليلا على الثقة

(٢) ونصه : وإذا بستة رجال مقبلين من طريق الباب الأعلى الذي هو من جهة الشمال . . . وفي وسطهم رجل لابس الكتان وعلى جانبه دواة كاتب

اضمحلال القوى ان الأعصاب المحطمة تسبب الكآبة وانتقاص النفس وتلاشي نشاط الرجولة قبل الأوان «مرصد النورستانيا الناسلية» ولكن بعد اجراء ابحاث علمية مستفيضة مدى عدة سنين نجح جناب العالم الاخصائي في المسائل الناسلية الدكتور ماجنوس هيرشفلد في ايجاد وسيلة فعالة لمكافحة هذا المرض وبعد الاختبار والتجربة الكافية يقدم للجمهور مستحضر: لوتيوبيطس ولصوان مستحضر علمي يحتوي بكيفية مضمونة على الهرمون الحقيقي لتجديد الشباب بحالة ثابتة سنفارك ويعمل دائما تحت رقابة المعهد الرسمي للناسليات بمدينة برلين. اقرأ الكتيب العلمي «الحياة الجديدة» الذي يعلمك كبرى الأمور التي قد تجهلها الى الآن عن الحياة الناسلية وترسل النسخة الانجليزية او الفرنسية مجانا مع رسوم ذات خمسة الوان نظير ٥ والنسخة العربية ٣ جلا نهور مين: صندوق بوستة ٢١٠٥ بمصر

اجتماع ... زيادة الحياة فالية للشفاء بوساطة العلاج العلمي الحديث الذي اكتشفه العلامة ماجنوس هيرشفلد

مجانا ارسل قطع هذا الكوبون واسلة الى صندوق بوستة ٢١٠٥ بمصر مرفقا طابع مجيدي آخر ترسل لك نسخة مجانا من كتاب الحياة الجديدة

(س . ت ٥٢٢٧)